ترعرعت فيه بذور هذا التيار ونمت، وكان هذا المناخ عقلياً متعصباً لآراء أرسطو وممثلاً لما يسمى «بروح العصر»[٥].

وناتي إلى عوامل نشأة الواقعية فنحصرها فيما يلي:

أ) تطور النزعة النقدية في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية، وازدهار الفلسفة الوضعية والمادية، ثم الوجودية. وكل هذا يعد رداً للفعل على الفلسفة المثالية التي كان يمثلها كثير من الفلاسفة من أمثال ديدرو، وكانت، وفختة، وهيجل، كما يعد موجهاً قوياً نحو الواقعية واقتراب الفن من المجتمع أكثر من ذي قبل.

ويمثل النزعة الاجتماعية «سان سيمون»[٥] الذي تدور آراؤه حول صلات الإنسان بالآخرين ثم بالطبيعة والعالم المحيط به، وهو يدعو إلى التضامن بين أفراد المجتمع والقضاء على الأنانية والأثرة الفردية، وتنظيم المجتمع تنظيماً يقوم على أساس المشاركة في الإنتاج بدلاً من الاستغلال والتنافس الاقتصادي، إلا أن «سان سيمون» لا يلغي الملكية كما سنرى عند الماديين[٦].

١ ـ أما الفلسفة الوضعية فمن أبرز أعلامها «أوغست كومت» (١٧٩٨ - ١٨٥٧)، و«هربرت سبنسر»، و«جون ستيورات مل» (١٨٠٦ - ١٨٧٣)، وفكرتها الرئيسية أن المعرفة التي يجب أن يهتم بها هي معرفة الحقيقة المثمرة التي يستفاد منها في الحياة الواقعية، ولهذا فإن أقطاب هذه الفلسفة لم يتوانوا عن مهاجمة الفلسفة الميتافيزيقية واعتبروها عبثاً صبيانياً[٧]. ويرون أن السبيل إلى المعرفة اليقينية التي لا يتسرب إليها الشك هي تلك التي يتوصل إليها عن طريق التجربة العلمية.

وكان للفلسفة الوضعية أثر كبير في اتجاه بعض النقاد والأدباء إلى الواقعية اتجاهاً مبالغاً فيه، فقد تأثر «سانت بيف» (١٨٠٤ - ١٨٦٩) بهذه الفلسفة فدعا إلى دراسة الأدباء دراسة علمية تقوم على بحوث دقيقة لكل العلاقات والصلات التي تربطهم بآبائهم وأمهاتهم وأسرهم وبيئاتهم وعصورهم، وأصدقائهم ومعارفهم، كما اهتم بدراسة نفسياتهم وأمزجتهم وخصائصهم